

المستطرف في كل فن مستظرف

رحمك الله فأنصرف أبو عثمان فلما وافى منزله عاد الرجل إليه وقال يا أستاذ ندمت وأخذ يعتذر له وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافى داره قال له مثل ما قال في الأولى ثم فعل به ذلك أربع مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال يا أستاذ إنما أردت بذلك اختبارك والوقوف على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب فإن الكلب إذا دعي حضر وإذا زجر انزجر وقال الحرث بن قصي يعجبني من القراء كل فصيح مضحك فأما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بوجه عبوس فلاكثر الله في المسلمين مثله . ومن محاسن الأخلاق .

ما حكى عن القاضي يحيى بن أكرم قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون فغطش فامتنع أن يصيح بسلام يسقيه وأنا نائم فينغمض علي نومي فرأيت أنه قد قام يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلاثمائة خطوة فأخذ منها كوزا فشرب ثم رجع يمشي على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار إلى فراشه ثم رأيت أنه آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلا يحاول أن أتحرك فيصيح بالسلام فلما تحركت وثب قائما وصاح يا سلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت للصلاة فكرهت أن أصيح بالسلام فأزعجت فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار فأخذتها وأنصرفت قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه وهو يحشو فمه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الأرض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه يوما في بستان ندور فيه فجعلنا نمر